الديالكتيك التأريخي بين مثالية هيجل ومادية ماركس
دراسة مقارنة

م.م. كفاح علي عثمان
جامعة بغداد / كلية العلوم للبنات / قسم الفلسفة

الملخص:

الديالكتيك او (الجدل) هو من اهم الموضوعات التي اثير الجدل حولها لعصور معدودة، وهذا ما سأوضحه في المبحث الاول ، فستجدها عند أفلاطون وأرسطو، حملت معان مختلفة، كلا حسب فلسفته: أما في القرن التاسع عشر، وهذه المدة تخص البحث– عادت الجدلية على يد هيجل لتكتسب معنى فلسفيا جديدا وعميقا مازال حتى الآن يستخدم من فلاسفة معاصرين، فالجدل الهجيلي هو تجربة من نوع خاص ، تجربة مثالية مطلقة ، تساير موضوعها عن كثب، وتحاول أن تتعقب تموجاته اولاً بأول، والارتقاء بهذه التفاعلات الى ما يحل المتناقضات والاشكاليات ، كل هذه التحولات والارتقاءات وتأثيراتها بالمجتمع والتاريخ ستجدها خلال المبحث الثاني الذي يتحدث من الجدل عند هيجل. من نفس المنهج الجدلي لهيجل ولكن بعيداً عن المثالية، وبمادية بحته، يتقبل ماركس هذا المنهج مفسراً التأريخ وسيرورته وتحولات المجتمع على أساسه، بأسلوب مادي، يستمد قواه من خلال دراسة الظواهر الاقتصادية، وجعلها المحرك الرئيسي للواقع والمجتمع والتأريخ وهذا ما سنراه من خلال تناولنا للتحولات المجتمعية عند ماركس وركائز هذه التحولات حسب المنهج المادي الجدلي الماركسي.

The historical dialectic between the ideal Hegel and material Marx
A comparative study

M.M. Kifah Ali Othman
University of Baghdad - College Of Sciense For Women
Department Of Philosophy

Abstract:

The dialectic or (Controversy) is one of the most important subjects of controversy around several times. We find in Plato, Aristotle included different meanings, each according to his philosophy and that's what I've ever had in this first section.Dialectical returned by Hegel to acquire new meaning and deep Velsvs still so far used contemporary philosophers, Alhegela The debate is an experience of a special kind, absolute perfect experience trying to track the transformations first, "Powell This was the second topic.The same approach dialectical Hegel but away from materialism and idealism purely related to Marx this approach, explaining "the history and progress of color shifts and society Kan physical style derives its strength through the study of economic phenomena, and that's what we'll find in the third section.

Alhegela controversy is that movement uptrend, from the fact that the mobile world to the fact top and be named this transition more and more comprehensive.

Marx has adopted downside controversy Hegel but purely material formulations format denied the perfect and absolute accounts Valtnaqs Marx is designed to detect sources of continuous movement and the evolution of the physical world. Bringing to us clearly differentiate between two contradictory dialectics of Hegel and Marx Diaketal, although the first is the origin of the second generator.

المقدمة:

الجدل كان يعني طريقة خاصة في البحث واسلوبا من اساليب المناظرة التي تطرح فيها المتناقضات الفكرية ووجهات النظر المتعارضة ،ويوصف هذا الجدل بالكلاسيكي؛ لأنه يختلف عن الجدل الذي سنتعرف علية عند (هيجل وماركس) فلم يعد الجدل منهجا في البحث واسلوبا لتبادل الآراء، بل اصبح طريقة لتفسير الواقع وقانونا كونيا عاما ينطبق على مختلف الحقائق والوان الوجوه

تعريف الجدل (الديالكتيك):

طريقة المناقشة والاستدلال ، يستمد أسمه من الفعل اليوناني الذي يعني (يحاور) وكان معناه في الاصل (في الحوار) أو(النقاش) أو (الجدال). فنجد سقراط يمارس على الدوام طريقتين كلتاهما تتخذ صورة الغرض أولهما هي تفنيذ رأي الخصم، وذلك باستدراجه عن طريق القاء الاسئلة عليه الى ان يسلم بعبارة مناقضه لرأيه ، بوصفها نتيجة نهائية تترتب على ذلك الرأي ، ثم الانتهاء به الى تعميم، وذلك عن طريق استدراجه الى التسليم بصدقه في سلسلة الامثلة الجزئية. أما أفلاطون؛ فالجدل عنده العلم الفلسفي الأعلى ،فهو منهج في التحليل المنطقي يقوم على قسمة الأشياء الى اجزاء وانواع ،بحيث يصبح علم المبادئ الأولى والحقائق الازلية. أما أرسطو، فهو أول من أقام الجدل على اساس متين في كتابه (الطوبيقا) يستهدف به ان يجد من البراهين ما يؤيد أو يدحض ما يطرح للبحث من اراء او من دعاوي ، يقول ارسطو إن كتابه مفيد في ثلاثة اغراض، هي: (التعليم، والمناقشات، والعلوم الفلسفية) [٢،١]. فضلا عن ذلك استخدام مصطلح الجدل في الفلسفة المدرسية، فلسفة المجتمع الإقطاعي يشير الى المنطق الصوري مقابل فن البلاغة وقد نادى نيقولاس اوف كوسا وبروتو في المرحلة المبكرة من التطور الرأسمالي بالأفكار الجدلية القائمة على (تطابق الاضداد).

وعلى الرغم من تفشي المتيافيزيفا؛ فقدم (ديكارت وسيبنوزا في المدة التالية نماذج من الفكر الجدلي ، قدمها ديكارت في نظريته (خلق الكون) وقدمها سبينوزا في رأيه عن الجوهر باعتباره عله ذاته.

وقدم (روسو وديدرو) ثروة من الأفكار الجدلية ففحص روسو التناقض بأعتباره شرط التطور التاريخي ، وذهب دريدرو خطوة ابعد ففحص التناقضات في الوعي الاجتماعي المعاصر في زمانه في رواية (أبن آخ رامو) وجاءت اهم مرحلة قبل الماركسية في تطور الجدل في المثالية الكلاسيكية الالمانية التي نظرت الى الواقع الاعلى انه مجرد موضوع للأدراك بل اعتبرته ايضا موضوعا للنقاش[٣]

أما كانت؛ فقد اطلق لفظ الجدل على المقاييس الوهمية ، قال ان الجدل هو منطق الظاهر اما ان يكون منطقياً أو تجريبياً أو يكون متعالياً نتيجة لطبيعة العقل الذي يتوهم انه يستطيع ان يذهب

الى ما وراء التجربة وان يدرك حقيقه الله والنفس والعالم بالمقاييس العقلية ويسمى هذا التوهم بفلسفة كانت بالجدل المتعالي وهو الثاني من المنطق المتعالي في كتاب نقد العقل المحض[٤]

إذًا، فالجدل كان يعني طريقة خاصة في البحث واسلوبا من اساليب المناظرة التي تطرح فيها المتناقضات الفكرية ووجهات النظر المتعارضة بقصد محاولة كل واحد منها ان تظهر ما في نقضيها من نقاط الضعف ومواطن الخطأ على ضوء المعارف المسلمة والقضايا المعترف بها سلفا، ويقوم هذا الصراع بين الاثبات والنفي الى ان يصل الى نتيجة نهائية، يمكن وصف هذا الجدل بالكلاسيكي ،وذلك لان، الجدل الذي سنتعرف عليه لاحقاً كما عند (هيجل وماركس) يختلف عن ذاك الجدل فالجدل لم يعد منهجا في البحث واسلوبا لتبادل الآراء بل اصبح طريقة لتفسير الواقع ، وقانوناً كونياً عاماً ينطبق على مختلف الحقائق وألوان الوجوه.

فالتناقض ليس بين الآراء ووجهات النظر حسب، بل هو ثابت في صميم كل واقع ،وحقيقة فما من قضية الا وهي تنطوي في ذاتها على نقيضها ونفيها. فالجدل الجديد هو قانون للفكر والواقع على السواء ولذلك فهو طريقة للتفكير، ومبدأ يرتكز عليه الواقع من وجوده وتطوره.

الجدل الهيجلي:

يعرف هيجل المنهج قائلاً: ((وليس المنهج سوى الشعور بالشكل الذي تتخذه الحركة الباطنية لمضمونة)). ويعني هذا ان يأتي المنهج متصلاً اوثق اتصال مع الموضوع أو المضمون، ويرى هيجل ان المنهج الأوحد الذي يحقق هذا الشرط انما هو المنهج الجدلي لأنه ليس خارجاً عن موضوعه ،بل هو تعبير عن (الحركة الباطنية) لهذا الموضوع نفسه.

إن المنهج الهجيلي (الديالكتيكي) ليس خبرة او تجربة، بل هو أسمى من ذلك، فالجدل تجربة من نوع خاص؛ لأنها تجربة تساير موضوعها عن كثب وتحاول ان تتعقب تموجاته اولاً بأول. وأهم ما تميز به هذا الجدل، هو حركته الصاعدة، حيث تنتقل دائماً من حقيقة دنيا الى حقيقة عليا، يكون هذا الانتقال اكثر سمواً واوسع شمولاً[٥]، ونضرب مثلاً توضيحياً للجدل مأخوذ من الثالوث الاول لمقولات هيجل في المنطق وهي: الوجود، النفي والصيرورة، الواقع انه لا شيء سالب؛ لأننا لا نبلغ هذا التغير الا اذا استخرجناه من نقيضه، وهو الوجود المثبت، وينشأ عن الاثنين معاً وحدة ثالثة هي العقل الموجب وهو موجب؛ لأنه ليس سلبياً.[٦]

تعد السلبية هي المقولة الرئيسة في الجدل الهيجلي، يقول هيجل:(إن التفكير في جوهرة ينصرف في الحقيقة الى نفي الظاهرة التي تدركها امامنا ادراكاً مباشراً). وإن قوة التفكير السلبي هي الواقعة الدافعة لمنطق الجدل بوصفة الأداة التي تستخدم في تحليل عالم الحقائق المادية ان شاء هذا التفكير– الجدلي– هو ان يبطل ما يذهب اليه الاستدلال العقلي البحت من ان هناك تناقضا بين القيم الحقيقة الواقعية [٧]

وتفهم كل هذه الحقائق على انها مراحل لعملية واحدة. وبهذه العملية يلتقي الذاتي (مع الموضوعي) فماذا تعني الذاتية؟ هي: (الفكر) ، (والروح) ، (والعقل) ، (والفكر بالذات) ، أن كل هذه الصراعات التي تستند الى وعي وتدبير على النحو الذي نجده بين البشرية وبين الظروف التي تكتشف بقاءها أو ظروف الطبيعة ومن ثم نجد أن الحقيقة هي النتيجة المتجددة بصفة دائمة ، لعملية الوجود وان حقيقة الشيء لا تتغير هي الصورة التي تنفي دائما كل ما عداها من الوان الوجود الناقص كل حقيقة ماهي الا انضاج او تطور للذاتية وهي التي تسترد مقوماتها من الحقب التأريخية ويكون هذا التطور معناه العقلي عند هيجل. ويعرف بأنه (تقدم من الوعي بوجود الحركة) أن حرية هيجل معرفه تحيط بالجوهر لا بالعرض لا تنصرف الى مجرد وجود شيء ، ولكنها تعني عنصر ذاتي في وجود الانسان.

يبدأ التفكير الجدلي في مرحلته الاولى من ان العالم مقيد وليس حرًا، حيث يبدو أن شيئا على غيره جوهرة ، أن الحرية هي القوة التي تدفع الوجود من الداخل وعملية الوجود ماهي الا النفي المستمر للقوى التي تهدد بانكسار الحرية، هنا الحرية تتسم بالسلبية؛ لأن الوجود ينطوي على القوى التي تنتقي مع جوهر المادة كما ينطوي في نفس الوقت على العملية التي يستعيد الشيء بها جوهره، حيث يفهم ويسيطر على هذه القوى التي تحاول ان تفقده جوهره.[٨]

الجدل الماركيسي:

إن اصل الجدل الماركسي هو جدل هيجل، ومع ذلك فإن الجدل الماركسي علم عن القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة والمجتمع البشري والتفكير علم عن الروابط العامة بين جميع الظواهر الموجودة في العالم.

- المادية الجدلية: هو النقيض المباشر لجدل هيجل، لقد اراد ماركس ان يبرهن من الايدلوجيا الالمانية عام ١٨٤٥ انه في تعارض مباشر مع الفلسفة الالمانية (فلسفة هيجل آنذاك التي تهبط من السماء الى الارض، تكون المسألة هنا الصعود من الأرض الى السماء، وهو بذلك قلب ديالكتيك هيجل الذي كان يمشي على راسه ليجعله يسير على قدميه يقول ماركس:(إن الأطياف المتشكلة في أدمغة الناس هي أيضاً بالضرورة اشياء مصعدة من عملية حياتهم المادية فالأخلاق والميتافيزيقا والايدلوجيا بأكملها وكذلك اشكال الوعي المناظر لها تحتفظ مظهر الاستقلال ... فليس الوعي هو الذي يحدد الحياة ، بل الحياة هي تحدد الوعي[٩])

ويمكن تميز المنهج الديالكيتكي الماركسي من المنهج الهيجيلي بميزات اربع، هي:

١- ان الجدل الماركسي ينظر الى الطبيعة بوصفها كلاً موحداً ومتماسكاً ترتبط فيه الموضوعات والظاهرات ارتباطاً عضوياً فيما ينهما ويشترط بعضها بعضاً وذلك عكس المنهج الميتافيزيقي ي التي تنظر الى الاشياء في سكونها وثباتها.

٢- يوصف الطبيعة بحالة حركة وتبدل مستمرين وتجدد ونمو لا ينقطعان- وذلك على عكس الميتافيزيقا التي تنظر الى الاشياء في سكونها وثباتها.

٣- النظر الى سيرورة النمو بوصفها انتقالاً من التبدل الكمي الخفي الى التبدل الجذري الكيفي ، والنظر الى الاخير بوصفه تبدلاً ضرورياً يحصل تعفزات ، ويسير ابداً الى امام من القديم الى الجديد، ومن البسيط الى المركب وذلك على عكس الميتافيزيقا التي ترى النمو بوصفة تراكماً او حركة متصلة او عرضية او دائرية.

٤- النظر الى موضوعات الطبيعة وظاهراتها من زاوية تناقضها الداخلي، اي النظر الى جانبها السالب وجانبها الموجب، الى ماضيها ومستقبلها، الى ما يختفي فيها ويظهر، وذلك ان النمو لا يتم على اساس التناغم بل على اساس ابراز التناقضات؛ لان مضمون النمو الداخلي هو صراع الاضداد، ولأن كل شيء يخضع للظروف الزمان والمكان.

مع هذا ذلك لا يعني البتة ان العالم الهيجلية الموجودة في الماركسية ثانوية وان ماركس قد انفصل نهائياً من الجدلية الهيجلية وقدم لنا قوانين اساسية للديالكتيك تختلف كل الاختلاف من قوانين هيجل، فهنالك تواصل وثيق بين التراث الجدلي الهيجلي والماركسية بمراحلها المختلفة فمقولات الجدل الماركسي (أي قانون انتقاد ووحدة ونضال المتضادات) هي قبل كل شيء نتيجة لتطور الفكر الجدلي الذي تحول (من نكرته الاغريقية العفوية الى مرحلة الشمول والتكامل يبقى ماركس اذن يعمل داخل حقل هيجل قي طريقته ومنهجه ومسألياته المطروحة. الا انه يترك جانباً مسألية الذات والجوهر في نمطها المثالي والتفكيري ، كما يرفض في الان نفسه تلك النظر المادية الجزئية للذات.

وللجدل الماركسي ثلاثة قوانين اساسية، هي:

١- وحدة وصراع المتضادات (وحدة المتناقضات):

يقول لينين(الديالكتيك بمعناها الدقيق هو دراسة التناقض في صميم جوهر الاشياء) ويقول ايضا (شرط معرفة جميع عمليات العالم في وجودها الحي هو معرفتها كوحدة متضادات) ويقول ايضا: (الصراع هو وحدة متناقضات)[١٠]

إن الديالكتيك الماركسي ما هو إلا تناقض وصراع متناقضات، فالمجتمع يحتوي على وحدة متضادات، زمن هذه الوحدة تنطلق صراعات ما بين هذه التناقضات و وتستمر هذه التناقضات والصراعات وكلما تزداد المتناقضات، تزداد وحدة الصراعات.

اذاً فكل تغيرات والانقلابات الحاصلة ، هي ناشئة من الصراع الداخلي في جوهر الاشياء . كتب انجلر يقول:(إن احد طرفي التناقض لا يمكن ان يوجد دون الاخر، كما لا يمكن ان لا تظل في ايدينا تفاحه كامله بعد ان نكون قد اكلنا نصفها).

إن التناقض والصراع بين المتضادات هو بالضبط المصدر الاساسي لتطور المادة والوعي، وإن التطور الاجتماعي يتم على اساس وحدة وصراع المتضادات وتلعب تناقضات الانتاج المادي وقبل كل شيء التناقضات بين القوى المنتجة وعلاقات الانتاج دوراً خاصاً كبيراً بين تناقضات التطور الاجتماعي.[١١]

٢-تحول التغيرات الكمية الى كيفية:

الكيف: هو التعدد الجوهري لموضوع ما ، الذي بفعله يكون هو الموضوع المعين وليس غيره، ولا يمكن رد موضوع ما الى صفاته المنعزلة. والكم: حجم محدد وعدد محدد وثقل محدد وسرعة محددة لعملياته ودرجة محددة لتطور صفاته...الخ ، فالكم هو تحديد شيء ما بحيث يمكن تقسيمه الى اجزاء متجانسة.[١٢]

إن جوهر قانون انتقال التغيرات الكميه الى تغيرات الكيفية في ان التغيرات الكمية الصغيرة غير الملحوظة في البداية تتراكم تدريجياً وتؤدي في مرحلة معينة الى تغيرات جذرية كيفية وينتج عنها أن تزول الكيفية القديمة، وتنشأ كيفية جديدة تؤدي بدورها الى تغيرات كميه جديده تنتقل التغيرات الكميه الى تغيرات كيفية بالفقرة التي تمثل لحظة التغيير.

تتم هذه التغيرات في المجتمع البشري وذلك بالانتقال من النظام المشاعي الى نظام الرق ومنه الى النظام الاقطاعي او الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يتم دائماً عن طريق قفزة.

يقول ستالين:(إن الديالكتيك خلافاً للميتافيزيقا لا يعد حركة التطور حركه نمو بسيطة لا تؤدي التغيرات الكمية فيها الى تغيرات ،كيفية بل يعدها تطوراً ينتقل من تغيرات كمية ضئيلة وخفية الى تغيرات ظاهرة واساسية اي الى تغيرات كيفية وهذه التغيرات ليست تدريجية، بل هي سريعة فجائية وتحدث بقفزات من حالة لأخرى).[١٣] أي إن حركة الديالكتيك ليست دائريه متكرر وانما هي حركة صاعدة متطورة.

٣- قانون نفي النفي:

إن الاشياء والظواهر متناقضة وتطورها على اساس تناقضاتها الداخلية تخلق ظروف زوالها والانتقال الى كيفية جديدة أعلى أن النفي هو بالضبط التغلب القديم على اساس التناقضات الداخلية ، نتيجة التطور الذاتي والحركة الذاتية للأشياء والظواهر. فالاشتراكية تأتي لتحل محل

الرأسمالية نتيجة حل المتناقضات الداخلية الملازمة للنظام الرأسمالي. واذ تتحقق هذه المتناقضات فإنها تجد حلها في الثورة الاشتراكية.

إن هذا النفي لا يعني وضع حد للتطور وانما ان ميلاد شي جديد يكون ايضا متعرضاً للنفي لأنه قد يعود الى نفس البداية التي تؤدي الى نفيه لذلك يسمي هذا القانون نفي النفي فالتطور لا يسير بخط مستقيم ولا بدائرة مغلقة وانما يسير بخط صاعد حلزوني وينتقل من الادنى الى الاعلى من البسيط الى المعقد وهو تناقض ويمر بانحرفات وانعطافات. يختفي هذا القانون وذلك عندما تنتهي التناقضات ويتحول النظام الى شيوعيه يكون المجتمع فيها للاطبقي.[١٤]

على الرغم من الاختلاف مابين التغيير الهيجلي والماركسي للتاريخ الا ان ماركس وضع التاريخ بنفس الحتمية التي وقع بها هيجل والتي لاقت نقد من باحثين كثر، أمثال كارل بوبر الذي نقد المذهب او النزعة التاريخية ككل فقد لاحظ بوبر خطأ التنبؤات التي افترضها ماركس التي استند بها الى قوانين تطور المجتمع التي ابتدعها وقال انها دقيقة وصحيحة ولا تقبل الخطأ.

فقد اعتقد ماركس ان الاشتراكية هي العهد الذي يلي الرأسمالية وبما ان ايطاليا هي اول دولة ظهرت بها الرأسمالية فإنها اول دولة ستشهد ظهور الاشتراكية والواقع كما يقول بوبر اثبت عكس ما قالت به النظرية.[١٥]

من هنا دخل كارل بوير باب نقد الماركسية بوصفها عاجزة عن تفسير التاريخ؛ لأنها وضعت الاحداث والمواقف التاريخية على وفق حتمية تقتضي الانتقال والتطور من شيوعية ابتدائية الى شيوعية راقية.

المبحث الثاني/ علاقة الديالكيتك بفكرة التناقض:

هنالك علاقة ما بين الديالكيتك وبين فكرة التناقض، وسأحاول توضيح هذه العلاقة عند كل من كانت، ماركس، هيجل ،ولكن في البداية يجب أن نتعرف على مفهوم التناقض بعد أن تناولنا مفهوم الديالكيتك في المبحث السابق.

التناقض:

أ- تقابل بين الايجاب والسلب في حديث او قضيتين تحتويان على عناصر لا يمكن الجمع بينها.

يقصد في المنطق بالتناقض اختلاف قضيتين كليتين كيفا وكما.

ب- يقصد بهذا الاصطلاح تناقض اساسي بين مبادى او قوانين تظهر كل منها، وكأنها حقيقة واضحةة كاعتبار العالم محدود أو غير محدود ، أزليا وغير أزلي ... الخ.[١٦]

أما مبدأ عدم التناقض؛ فهو المبدأ القائل أن التناقض مستحيل فلا يمكن أن يتفق النفي والاثبات في حال من الاحوال، وهذا واضح، ولكن ما هو التناقض الذي يرفضه هذا مبدؤه، ولا يمكن للعقل قبوله؟ فهل هو كل نفي واثبات؟

كلا فأن كل نفي لا يناقض كل اثبات وكل اثبات لا يتعارض مع كل نفي وانما يتناقض الاثبات مع نفيه بالذات لامع نفي اثبات آخر ووجود الشيء يتعارض بصورة اساسية مع عدم ذلك التي لامع عدم شيء اخر ومعنى تعارضها انهما لا يمكن ان يتوحد او يجتمعا.

من هذا يكون التناقض بين النفي والاثبات الموجودين في ظروفها فاذا اختلفت ظروف النفي مع ظروف الاثبات لم يكن الاثبات والنفي متناقض، مثل الاربعة زوج. الثلاثة ليست زوجاً. فالنفي والاثبات في هاتين القضيتين، لا تناقض بينهما لاختلاف ، كل منهما عن الاخر بالموضوع الذي يعالجه فالأثبات تعلق بالأربعة، والنفي تعلق بالثلاثة.[١٧]

التناقض عند كانت:

دعا كانت الى رفض موقف كل من ابيقور (زعيم التجربتين) وأفلاطون (ازعيم الاعتقاديين) على أساس أن كلاً منهما قد أكد اكثر مما لا يعلم ،ولكن هل يعني هذا ان كانت قد اتخذ موقف شكلياً... موقف بيرون

اجاب كانت من هذا الحديث: عندما بين لنا أن نقائض العقل الخالص ليست نهائية حاسمة ، وانه لابد للفيلسوف ان يحلها بوجه ما من الوجوه.[١٨]

نقائض العقل الخالص[١٩] :

القضية	نقيضها
أ- للعالم بداية ونهاية في الزمان ومحدود	أ- ليس للعالم بداية ونهاية في الزمان وغير محدود في المكان جوهر بسيط
ب- كل شيء في العالم مركب من اجزاء بسيطة.	ب- ليس العالم مركب ولا يوجد في العالم اي جوهر بسيط.
ح- ثمة علة للقوانين الطبيعية وهي علة وحيدة.	ح- ليس هنالك ثمة علة وان كل ما يحدث وفق قوانين طبيعية.

د– العالم مرتبط بوجود ضروري العالم ولا واجب الوجود وعله له .

د– لا يوجد وجود على الاطلاق لا في خارجه.

تؤكد النقدية أن هذه التناقضات هي بسبب عدم تناسب بين الفهم والعقل، فالأول دأب على الانتقال من الشرط الى المشروط، في حين أن الاخر يريد أن يعلو على سائر الحدود المتناهية، ولكنه يريد ان يمتد الى الوحدة الكلية.[٢٠]

حل المتناقضات:

إن النقائض تنحل اذا أدركنا ان العالم مؤلف من ظواهر، وإن كل ما نعثر عليه هو مظهر وليست شيئا في ذاته ، هناك يتأتى الحل على نحوين:

الاول: القول إن الموضوع ونقيضه باطلان كلاهما ، وهناك موضوع ثالث

الثاني: القول بأن الموضوع ونقيضه صحيحان الاولى في ميدان العقل والنقيض في ميدان الظواهر ان فكرة العالم هي افتراض لمواصلة التجربة الممكنة وتوسيعها ،اي اقصى درجه، فلا يحق لنا اصدار اي حكم بحد مطلق أو نقول بأن العالم متناه او لامتناه.[٢١]

التناقض عند هيجل:

من المستحيل علينا ان نتصور اية ظاهرة من ظواهر الحياة او الفكر او التاريخ بوصفها مستقله، منعزلاً تماما أو قائمة بذاتها وانما يجب تصورها على انها متوقفة على ماعداها من ظواهر وتصورها على انها متصورة بذلك (الكل) او (المجموع) الذي تنتسب اليه وتتوقف عليه.

مثل: اذا كان التناهي او(العرضي) (متناقضين)، فذلك لانه لا معنى لهما الا بالقياس الى (اللامتناهي) او (الضروري) اللذين هما مجرد احالة اليهما ، ولهذا يقرر هيجل ان كل شيء يستلزم وجود ضده.

إن هذه المتناقضات الكثيرة الموجودة في التفكير الجدلي الهيجلي، تكشف عن قدره هيجل الحدسية للنفاذ في اعماق الاشياء من اجل الكشف عما ينطوي عليه من ضروب الصراع. تعد علاقه التناقض من ابرز العلاقات المنطقية او ما يسمى (الايجابي) و (السلبي) دون ان يهتم (بالكيف) او(النوع) فالعالم حافل (بالصراع) أو (التعارض).[٢٢]

ان الفكرتين الرئيسيتين في الديالكيتك الهجيلي، ما هي الا دور التناقض في وجود الكون حيث يقول هيجل:(ما العالم المادي الا عملية تجل للذات الالهية التي تجلت في نقيضها لتعمل في مخططها على سير العالم في عملية تطوريه تهيء بانسجام العالم معها ، وهنا يذوب التناقض في المركب).[٢٣]

يعد التناقض من اهم الاسس التي تبناها ماركس من هيجل فقد علم هيجل ماركس من ان التاريخ هو عملية تستمر بفضل جانبها السلبي ويمكن ادراك معنى أو اتجاه التاريخ من وراء الحشد

المضطرب للوقائع المتغيرة، لا بأن نركز في البناء الثابت حسب، بل نركز في قوة التغيير التي ينطوي عليها[٢٤].

التناقض عند ماركس[٢٥]:

يمثل التناقض اهم المفاهيم في فلسفته، اذ يعبر هذا المفهوم عن احد القوانين الأساسية عنده ، الا وهو (صراع المتناقضات). يعد التناقض نواة الدياليكيتك الماركسي وجوهره ولبه ،وهذا واضح في اقوال مؤسسية.[٢٦]

إن التناقض عند ماركس يكشف مصادر الحركة المستمرة، وتطور العالم المادي والاسباب الحقيقية لذلك وبالتناقض نستطيع أن نفهم تطور الطبيعة والمجتمع والفكر، فقد استطاعت الماركسية أن تكتشف تناقضات الرأسمالية، وإنها ذات طابع انتقالي تاريخي ولا بد من استبدالها بالاشتراكية لذلك ان تحليل تناقضات الواقع الموضوعي ،وكشف طابعها ،هو من اهم متطلبات البحث العلمي والنشاط العلمي. وهذا يفسر قول لينين بان دراسة الديالكتيك تعني دراسة التناقض، ولكن التناقض الذي تهتم به الماركسية، ليس مثل اهتمام العلوم فالماركسية تهتم بالمتناقضات العامة كالمتناقضات الداخلية والخارجية والتناحرية ، رئيسة وغير رئيسة.[٢٧]

العقل يحكم التاريخ:

إن الفكرة الوحيدة التي تمدنا بها الفلسفة هي تلك الفكرة البسيطة عن العقل ، وهي ان العقل يحكم العالم، وبالتالي فالتاريخ الكلي هو تاريخ عقلي ، وربما تبدو هذه الفكرة كمجرد زعم في مجال التاريخ ولكنها ليست كذلك بالنسبة للفلسفة.[٢٨]

ولكن ما هو العقل عند هيجل؟ العقل عند هيجل ليس الذي هو ما داخل رؤوس الناس ولكنه جوهر يهتدي الواقع كله وخلاله الى وجوده. وهو قوه لا متناهية ومضمون لامتناه هو الحقيقة بأسرها والماهية بأسرها. وهو بالنسبة الى ذاته الموضوع الذي يتجه نشاطه كله نحوه، فهو بخلاف النشاط المتناهي ليس في حاجه الى شروط المادة الخارجية ليجد في تلك الشروط مضمون نشاطه وموضوعاتها[٢٩].

يؤكد هيجل ان سير التاريخ كان عقليا وضروريا للروح الكلي الذي يحيا في حياة الكون كله ، ودراسة التاريخ دراسة عقلية يجب ان تبدأ من الواقع التجريبي ولا تخضع لأحكام قبليه ويقصد هيجل بالعقل هو الروح ، والروح هو الواقع الحي.

إن هذه الحياة التي تدب في ارجاء الوجود هي ماهيته وحقيقته الروحية ، وما الحياة الطبيعية الا صورة من صور التجلي للروح يقول هيجل ان العناية الالهية تحكم العالم وهنا يتدخل الايمان الديني في تفسير التاريخ فالعناية الإلهية لا نهائية وهي الحكمة الإلهية .

التاريخ في نظر هيجل، يجب ان يكون تأريخ الانسان والانسانية وهو يهتم بالأفراد التي يتألف منها الشعوب والدول.

مسار التاريخ الكلي:

إن التاريخ العام هو مجرى التطور والصيرورة الحقيقية للفكر في معرض تغير التواريخ والاحداث فهو بمثابة علم الكلام الحقيقي والتبرير الحقيقي لله في التاريخ بناء على هذا فإن ما وقع وما يقع في كل يوم ليس خارج الله وحسب بل ومن فعله ايضا.

(أما الشر الموجود في التاريخ ، يقصد به الشر الموضوعي أو الالم الناجم عن الحروب والخرائب والانقلابات العشوائية ويعزو هيجل الى هذه الشرور وتلك الالام اهميه كبرى اولية. فهذه كلها هي أوجه سير التاريخ الأساسية، ويعد التقدم في نظر هيجل ذا وجه عابس صارم قاس بالضرورة، ويكمن السر في ذلك وراء مطلب الحرية الذي يجب ان يتحقق والحرية نفسها لابد ان تظهر وتبزغ. وذلك يلزم بالضرورة ان ترفع الحرية عن نفسها الغطاء ،ويحقق وجودها، وشكلها الموضوعي ، اذ لابد تستنفذ الحرية طاقاتها الكامنه اولا من اجل التحقيق الموضوعي ،ثم تستعين بعد ذلك بقواها وطاقاتها الظاهرة كي ترتفع ، ثانياً الى مستوى الابداع.

وبعد كل ما يجري من تخريب ودمار كوجه مقابل لسير الانسانية الى الامام والتقدم الذي يحرزه الانسان دائماً في خط سيره ، ولا تكاد تبلغ الاوضاع والاشكال الاجتماعية نهايتها وتعمل الى اخر شوطها وتختفي حتى تتبع مكانها الاشكال والاوضاع والمعالم الجديدة المستحدثة.[٣٠]

اذًا، فمسار التاريخ الكلي هو عرض للروح ، وماهيه الروح الحرية ومن ثم كان مسار التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية، لكنها ليست حرية فردية سلبية تعسفية فالتاريخ عند هيجل غائي فكل ما يحدث له معنى، وله ما يسوغه والثانية هي الجانب الموضوعي الذي يمثل الضرورة في هذا المسار ولكن الضرورة او الجانب الموضوعي لا تعمل وحدها ،فهنالك الجانب الذاتي الحر للأفراد، ومن ثم كان التاريخ ارتباطا وثيقا بين الضرورة والحرية.

واذا كان هيجل يتبع مسار التاريخ بوعي الحرية ، فان المراحل التي تمثلها لابد ان تكون مراحل تدريجيه في تقدم هذا الوعي، بمعنى ان الشرق لابد ان يكون ممثلا لمرحلة دنيا مما تمثله الحضارة اليونانية ،لا لان وقائع التاريخ تقول ذلك بل لان سير الوعي يحتم ذلك. [٣١]

إن هدف مسار التاريخ هو الدولة العادلة العقلانية التي سوف تضمن الحرية الضرورية للتطور التام للقدرات البشرية وتظل في سلام دائم مع الدول الاخرى المنظمة بطريقة مماثلة. وإن مسار التاريخ هيجل ينتهي في الحاضر. مع حين انه كثيراً ما كان يصف الحاضر من منظور (التحقق الكامل للحرية والوعي الذاتي) بحيث يبدو انه لا يترك سوى القليل ليحدث في المستقبل ،فأنه يسمح

بان هناك المزيد من التاريخ سوف ياتي وربما من امريكا ، يقول هيجل (امريكا) ، اذن هي ارض المستقبل ، فها هنا سوف ينكشف في العصور القادمة عنصر هام من عناصر تأريخ العالم...)[٣٢]

ثانياً/ تطور التاريخ الكلي:

إن التاريخ عند هيجل (يتحرك نحو المطلق حركة متصاعدة) وان كل فكره اساسية في التاريخ تبني فكرتها الرئيسة الى الحد الاقصى، ثم تولد اضدادها ونقائضها ويستمر الصراع، وتتحدد المبادي المتناقضة في وحدة عليا تزيح القضية ونقيضها لكنها في الوقت نفسه تحتفظ بكل عناصرها الفعالة، لذا حركة التاريخ في تقدم وصعود أبدي وكل مرحلة تاريخية هي اكثر تقدماً ورقياً حضارياً من سابقتها.[٣٣] كيف يكون الانتقال من مرحلة لأخرى في التاريخ؟

لا تكون الغاية العامة في الحياة المشتركة واضحة منذ اللحظة الاولى من التأريخ، ذلك؛ لأنها تكون لاشعورية وموضوع التاريخ الكلي في احالتها الى الوعي والشعور ، فيجب ان تكون هذه الغاية لها تمثيل موضوعي لها.

ويمكن ان ننظر الى سير التاريخ الكلي باعتباره حركة من اجل التأليف بين الحرية والضرورة، وذلك باعتبار أن الحركة الباطنة في ذاته ولذاته، هي الشيء الضروري[٣٤]

في اول تاريخ البشرية توجد الحرية في ذاتها فقط وتعيش اسيرة الوجود المغلق ،ثم تاخذ هذه الحرية لتطور نفسها شيئاً فشيئاً بصور شتى، لتعبر عن نفسها بوجودها العميق، وتتمثل هذه الصور في نظر المؤرخ في الاثار الفنية والدينية والسياسية التي تقوم المثال الذي تنشده الانسانية وتتطلبه، وكلما تقدم التاريخ في نموه وتطوره صاغت الانسانية لنفسها المثل الاكبر، فاكثر تكافؤا مع نفسها.

عند هيجل تتحقق نهاية التاريخ في كل اللحظات، وفي اي اللحظات الخاصة بالصيرورة حيث تتحول هذه الصيرورة الى ازدهار مستمر للأشكال الجديدة التي تتيح للفكر فرصة التعبير عن نفسه على نحو يبلغ فيها التكافؤ مع نفسه ولمجرد عودة الفكر لنفسه يعترف بأن الصور السابقة التي بدت انها مختفية تماماً في الماضي هي نفسها جوهر وجودها ،ولابد حذف الماضي نراه بأكمله متضمناً في اعماق الحاضر الجاري.[٣٥]

الابطال في التاريخ:

العظيم عند هيجل هو الذي يفكر مع نفسه اي قادر على صنع المجتمع واستلام الاشارات التي هي قرارات المطلق وتكون هذه الافكار غير واعيه . وهذا الراي مشابه للفيلسوف الاسلامي الفارابي، حيث يقول(ان الفيلسوف هو ارقى الناس عقلا ووعيا فيكون هذا الفيلسوف هو سر نجاح الدولة في التقاط الاشارات من العقل الفعال بالوعي عندما تتكون مؤسسات وبهذه الدولة تتحقق غاية للذات الإلهية الا وهي الحاكم العظيم الذي يتسلم اشارات الذات الإلهية ويحققها في الدولة.[٣٦]

رجال التاريخ عظماؤه وقادته كانوا يعملون بدافع من هذه الاهواء الشديدة وكم من مدرس للتاريخ كان ينظر اليها بوصفها افعالاً غير اخلاقية، ومعنى ذلك ان مدرس الفصل كان يحكم على الاسكندر الاكبر، ويوليوس قيصر، بانهما غير فاضلين وانه من هذه الناحية ، يكون افضل منهما ولكن مثل هذه التحليلات السيكولوجية لإبطال التاريخ سخيفة الى حد كبير فهذا الرجل الذي لم يغزوا اسيا ولم ينتصر على داريوس وبورس كيف يتعالى على هذه البطولات التاريخية العظيمة؟ حقا انه هؤلاء الابطال يسعون وراء اغراض خاصة، ولكنهم في الحقيقة يعملون من اجل غايه عامه وهذا هو خداع العقل الكلي ، الذي يستخدم الافراد، من اجل الغاية العامة والكلية[٣٧]. في حركة التاريخ المنطقية التي هي غالبا ما تكون سلسله من الثورات، يستخدم المطلق الشعوب والعباقرة. ادوات في تحقيق النمو والتطور.... ان اعاظم الرجال ليسوا خالقين للمستقبل، ولكنهم وسطاء في تحقيق المستقبل ، وما يقودونا به ليس سوى تحقيق لما ترسمه روح العصر[٣٨]

١ – الشعب:

إن الشعب هو الحقيقة والحياة، أيا كان العصر الذي يعيش فيه، وعندما يتناول هيجل حقيقه الشعوب فانه يتناول الحقيقة في الوقت ذاته، الحقيقة ذاتها، إننا الحقيقة ، اننا التاريخ ونحن الواقع والحياة[٣٩]، فالشعب الحر هو الشكل الذي تتحقق فيه الحياة وتصبح عالماُ فالوجود عندما نصفه بفعله وعمله، فأننا نضيف عمل وفعل الشعب، فالشعب هو المعبر عن الوعي الذاتي والوعي الكلي للشيء في ذاته، وهذه الكلية غير مقيده ولا مستثنيه؛ لأنها تكمن في اعمال الافراد وافعالهم[٤٠]

إن المبدأ الاساسي في الدولة هو اراده الشعب العامة فهي المبدأ العقلي الكلي. وغاية هذه الارادة هي المصلحة المشتركة، وليس مصلحه الفرد في المجموع وان هذه الإرادة هي التي تصنع القانون في الدولة، وذلك عندما يحول الشعب ارادته الى واقعه فعليه. ومالم تحكم الإرادة العامة الدولة فأن شعبها ليس حراً، فالشعب الحر هو الذي تحكمه اراده عامه فكل فرد تنازل عن جميع حقوقه للكل فلن يكون هناك حقوق زائده او قوه يسيطر فيها على الاخرين، فكل فرد يقدم نفسه للإرادة العامة التي هي نفسها ارادته الخاصة[٤١]

أما ما يسمى بروح الشعب فهي الوعي الذاتي الذي تحققه الحرية لنفسها من خلال الشعب وروح الشعب هي قدرة معبأة من طاقو ودين واخلاق تتسم بملامح فعلية، وهي المثل الاعلى المشترك الذي ينشئ وحدة الامة[٤٢].

٢ – الدولة:

الدولة هي وحدة دراسة التاريخ، إنها الحرية في صورتها الواقعية، وإنها تمثل تموضع الروح، وكل عمل فكري، وكل نشاط بشري إنما يتحقق من خلال الدولة وانظمتها، ومن ثم هي الصورة النهائية التي عندها تشكل موضوع التاريخ.

ليس للفرد اي قيمه من دون الدولة كما انه ليس للعين اي قيمه اذا اقتلعت من الجسم ، فقيام الدولة امر عقلي في ذاته ولذاته فهي تعبير عن الروح المطلق وتجسده في صوره واقعيه[٤٣]. وبما أن الدولة هي صوره للعقل المجرد، اذا فلها مطلق الحق ازاء الافراد، وعلى الافراد بطريق الالتزام المطلق ان يكونوا اعضاء في الدولة ،وان يطيعوها طاعة تامه، فالدولة لا تعترف بأي سلطة سوى سلطتها.[٤٤]

إن اساس الدولة هو القانون ، القانون الذي يحدد حياة الفرد، فهو ليس قوه خارجه ولا عاملا خارجيا ، فالقانون يدركه المواطن بوعيه بصفته موجوداً عاقلا حراً، فان المواطن هو عضو في الدولة يوجد في ظروف فرديه وهو مصدر السلطة، أي إن الدولة تحدد حياته وحياة المجتمع بصفة عامة. كما إن غاية الدولة هي الحرية لأعضائها ، فالدولة هي الوسط الذي يحقق حرية المواطن؛ لأنه فرداً بشريا ، فالدولة تكون دوله فقط عندما تعامل كل مواطن على أنه شخص، أي إنه غاية في ذاته، تصبح الدولة موجوده بالفعل عندما تصبح داعيه بوحدتها، هويتها ،عندما تعترف الدولة بهويتها فهي تعبر عن ارادتها.

والنقطة الأساسية التي لابد للإشارة اليها هي المؤسسات التي تضفي على الدستور مضمونه اي مميزاته فهي الاساس الراسخ للدولة بل لثقة المواطنين فيها فهي دعائم الحرية العامة ،ومادامت الحرية الجزئية تتحقق فيها وتكون عقليه ،فسوف يكون هناك وحده بيد الحرية والضرورة.. والفرد لا يحقق مصيره الا بمقدار ما يحقق واجباته في المؤسسات الاجتماعية المختلفة التي هو عضو فيها[٤٥].

المبحث الثالث/ الجدل والتفسير المادي للتاريخ عند ماركس:

أولًا/ الانتاج المادي وقوى الانتاج:

اعتمد ماركس على مبدأ الديالكتيك نفسه لتفسير التاريخ ولكن ماركس جعل من (الشيء) نقطة انطلاقه وذلك عكس هيجل الذي جعل من الفكرة هي نقطة انطلاقه. يقول ماركس:(إن العزة الالهية والهدف الالهي هي الكلمة الكبيرة المستعملة اليوم لتشرح حركة التاريخ والواقع ان هذه الكلمة لا تشرح شيئاً)[٤٦]

اراد ماركس بقوله هذا ان يناقض الفكر الهيجلي الذي جعل من المطلق المحرك لسير التاريخ فقد اراد ماركس أن يقول إن الاساس الذي يمكن ان تعتمده لتفسير حركة التاريخ هو الاقتصاد اي الاساس المادي (الانتاج المادي)؛ لأنه الحل الوحيد القادر على حل المشكلات الاجتماعية وايضا احداث تغيرات وتطورات في اثناء مسيرة المجتمع الى أن تنتهي الى مجتمع لا طبقي تختفي عنده كل الصراعات والتناقضات.

أ- الانتاج المادي كأساس لحياة وتطور المجتمع:

إن الماديين الجدليين، يرون ان المادة لا تحدد الوعي وتوجهه بشكل مباشر اتوماتيكي، انما هي تفعل ذلك من خلال توسط المجتمع بينها وبين الانسان ان الانسان عند ماركس كائن اجتماعي في جوهرة وبدون المجتمع لا يستطيع الانسان العيش فلا يمكنه ان ينتج ضرورات الحياة اللازمة لبقائه الا في اطار المجتمع، ولكن ادوات ذلك الانتاج ومناهجه تعود بدورها لكي تحدد اول ما تحدد العلاقات الإنسانية بين البشر وبعضهم بعض تلك العلاقات التي تنشأ بسبب الانتاج وتعتمد عليه من خلال تحديد تلك العلاقات الإنسانية، فإن أدوات الانتاج ومناهجه تصل الى تحديد وعي الانسان[٤٧]. هكذا بررت الماركسية قولها بان ((الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي الاجتماعي))

فالوجود الاجتماعي هو تلك الحياة المادية للمجتمع وقبل كل شيء نشاط الناس الانتاجي والعلاقات الاقتصادية التي تنشأ بين الناس في عملية الانتاج ، اما الوعي ،فهو حياة الناس الفكرية، الافكار والنظريات والآراء التي يسترشدون بها في نشاطهم العملي فأن (انتاج وسائل العيش المادية المباشرة وكل درجة معينه من التطور الاقتصادي للشعب او العصر تشكيل الاساس الذي تتطور فوقه المؤسسات الحكومية، والآراء الحقوقية والفن وحتى التصورات الدينية للناس المعنيين ، ولهذا يجب الانطلاق من هذا الاساس عند تفسيرها وليس بالعكس – كما كان يجري حتى الان[٤٨].

ب-القوى المنتجة والعلاقات الإنتاجية والتفاعل بينهما

تنظر الماركسية الى الانتاج على انه سلسة من العلاقات الإنتاجية، ووحدة جدليه بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج، يتم بداخلها تأثير متبادل حتى تصبح الواحدة تعتمد على الاخرى وتستلزمها تعبر قوى الانتاج كمثل العنصر الاكثر اهميه، بل هي المحتوى، في حين أن علاقات الانتاج تمثل الشكل للمحتوى، وأن تكون علاقات الانتاج يتم خارج عن ارادة الناس وتطور الانتاج يعتبر ضرورة وقانون للحياة الاجتماعية، وان تاريخ المجتمع هو تاريخ قوى الانتاج،[٤٩]

إن تطور الانتاج، يبدأ بتطور قوى الانتاج، ان تطور وتحسن أدوات الانتاج هو نتيجة نشاط الناس التطبيقي في الانتاج، ومع التقدم بتغيير الناس، وتتعاظم خبراتهم ،وهكذا فان القوى المنتجة تتحد، تولد علاقات الانتاج، ان هنالك تأثير قوى من قوى الانتاج على العلاقات ، فهي قد تسرع او تبطيء من التطور ، ولكن يجب ان يكون هنالك تطابق ما بين علاقات الانتاج الجديدة التقدمية مع طابع القوى المنتجة فالعلاقات القديمة تعرقل، فإنها تعرقل حركته الى الامام[٥٠]

إن تاريخ المجتمع يعرف خمسه من انواع العلاقات الإنتاجية، متعاقبة وهي: المشاعية، البدائية، والرقية، والاقطاعية، والرأسمالية، والاشتراكية.

في المجتمع المشاعي، كان الكل يعمل ويحصلون على طعامهم بشكل مشترك ،كانت وسائل الانتاج عامه ، والافراد متساويين بالمركز الاجتماعي، وتكونت علاقات اخرى بين الافراد في مجتمعات الرق والإقطاعية والرأسمالية، تكون العلاقة علاقه سياده وخضوع.

ففي ظل النظام الرأسمالي يعاني العامل من الاغتراب الذي يعني انفصال العامل عن عمله، وحبسه، يعني ان هذا العمل لا يعبر عنه؛ لأنه لا يأتي الا بالشقاء والتعاسة، من جراء العمل الكثير والاجر القليل، وبهذا فان النظام الرأسمالي ينفي العامل نفسه[٥١]؛ لذلك فان علاقات الانتاج في هذا النظام وحتى في الأنظمة التي سبقته هي علاقات ركيكه ، سرعان ما تتحطم لتلبي حاجات الانسانية، لتوفر الرفاهية للناس. ومع الانتقال الى الاشتراكية تتكون علاقات بين أعضاء المجتمع تكون علاقات تعاونية ومساعدة فيما بينهم؛ وسبب ذلك أن في المجتمع الاشتراكي تكون وسائل الانتاج ملكا الشعب بأسره، وعمل الملكية طابعا اجتماعيا.

ت/ اسلوب الانتاج الاشتراكي وتحول الاشتراكية الى شيوعية:

خلافا لأسلوب الانتاج الرأسمالي، يقوم أسلوب الانتاج الاشتراكي على اساس الملكية الاجتماعية ولا ينسجم مع الاستغلال. وتظهر مقدمات الاشتراكية في الرأسمالية، حيث تظهر الطبقة العاملة التي تمر بمرحله صراع الضاري ضد البرجوازية. ولكن هذه المقدمات ليست كافية لظهور اسلوب الانتاج الاشتراكي ،اذ لابد من ثورة اشتراكيه ،ومرحلة انتقالية كاملة من الرأسمالية الى الاشتراكية، وتبرز الطبقة العاملة هنا بقيادة الحزب الشيوعي.

تبدأ الاشتراكية بتعزيز العلاقات الانتاجية، ثم تأميم الانتاج الرأسمالي، الصناعة الكبيرة، البنوك، النقل، ..الخ[٥٢]. وتقوم العلاقات الاشتراكية بإشباع حاجات الناس، وكلما اشبعت حاجات ظهرت حاجه اخرى الى تطور جديد في القوى الإنتاجية ثم في العلاقات الإنتاجية، هنا انتقلت الملكية من ملكيه صغيره تعاونيه الى ملكيه الشعب بأسره وانتقلت من التوزيع بحسب العمل الى التوزيع بحسب الحاجة

تقوم المجتمعات الاشتراكية بإزاحة كل ما يمكن ان يعوق تطور الانتاج وتسخيره لمصالحها الخاصة وذلك بتوفر الإمكانية لحل هذه المتناقضات[٥٣]

وتتحول العلاقات الاشتراكية تدريجيا الى علاقات شيوعيه وتتميز الشيوعية عن الاشتراكية بالآتي:

١–تقوم الشيوعية بإلغاء الملكية الخاصة ومحوها محواً تاماً من المجتمع.

٢– كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته) اي توزيع السلع المنتجة حسب الحاجات الاستهلاكية للأفراد.

٣–السير على منهج اقتصادي ترسمه الدولة: وتوفق فيه بين حاجة المجموع والانتاج في كميته وتنويعه وتحديده، لكي لا يتعرض المجتمع للازمات نفسها التي تعرض لها في النظام الرأسمالي[٥٤].

ثانياً/ الطبقات والصراع الطبقي:

(الطبقات مجموعات كبيرة من الناس تتمايز فيما بينها بالمكانة التي تشغلها في نظام معين تاريخيا من الانتاج الاجتماعي ، بعلاقتها، بوسائل الانتاج بالدور الذي تلعبه في التنظيم الاجتماعي للعمل، ومن ثم بكيفية حصولها على حصة من الثروة الاجتماعية، وبمقدار هذه الحصة[٥٥].

إن كل نظام في الانتاج يولد بمضي الوقت وتوترات داخليه بين طبقات الاجتماعية المختلفة التي ترتبط به ثم تنحل هذه المتناقضات كما يسميها ماركس الى مركب اعلى، والطابع الذي يتخذه الصراع الجدلي هو الحرب التطبيقية ،وهي حرب تظل مستمرة الى ان يحل محلها الاشتراكية (مجتمع لا طبقي). وما أن يتم بلوغ هذه المرحلة حتى لا يعود هنالك شيء يحارب من اجله، وتستطيع العملية الجدلي عندئذ ان تهدأ وتستريح. لقد كانت جنة الله في الارض عند هيجل هي الدولة البروسية، أما عند ماركس فهي المجتمع اللاطبقي[٥٦]. يقول ماركس:(بالنسبة لي لا يعزي لي اي فضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع أو حتى الصراع بينها فقد وصفها الكثيرون كما انهم وضحوا التشريح الاجتماعي لها....) والجديد الذي قدمه ماركس عنها هو توصيف وجودها وتشخيصه او وصف حركتها وتفسيرها[٥٧].

أ- التركيب الطبقي للمجتمع:

الطبقات الأساسية في المجتمع وهي تلك الطبقات التي لها أسلوب انتاج معين من أساليب الانتاج كان العبيد وملاك العبيد، هما الطبقتان الاساسيتان في المجتمع الرقي ،والاقطاعيون والفلاحون في المجتمع الاقطاعي ، والرأسماليون والعمال في المجتمع البرجوازي ، وهتان الطبقتان احدهما تمتلك وسائل الانتاج وتمارس السلطة، اما الاخرى، فلا ملكية لها[٥٨]

لقد عرف التاريخ ثلاثة نماذج من الدول المستغلة: دولة العبودية- الدولة الإقطاعية – الدولة البرجوازية. لذلك فأن الاشتراكية تضع السلطة بيد العمال اي من غالبية ابناء الشعب، فضلا عن الطبقات الأساسية: هناك ملحق ، كطبقة الصناع الحرفيين والفلاحين الاحرار تحت نظام الرق وكطبقة العقاريين بين الفلاحين الكادحين في ظل النظام الرأسمالي، فضلا عن ذلك فان النظام الرأسمالي يظم طبقات متوسطة من البرجوازية الصغيرة كالحرفين وصغار التجار والمهندسين والأساتذة.... الخ[٥٩]؛ إذ ليس المجتمع لدى ماركس منهوقا مطلقا او حقيقه مجرده بل هو كيان واقعي يتوقف كيانه على اسلوب الانتاج وطبيعة التي تتسم بطابعهما كل مجتمع من المجتمعات[٦٠]

ب- الصراع الطبقي هو القوة المحركة للتغير الاجتماعي:

اينما يطور الناس قوى الانتاج، ويبدأون بالارتباط بعلاقات انتاج جديده ،وتظهر اشكال وسائل انتاج جديده تتناسب ومن هنا تظهر طبقات جديده وانقسامات وتناحرات جديدة

ينقسم المجتمع على مستغلين ومستغلين، فتسعى الاولى الى تدعيم ملكيتها، وانتزاع المزيد من فائض العمل والثانية تسعى للمقاومة، مثال على ذلك هبات الفلاحين وثورات العبيد بالمقابل قيام الطبقات المستغلة بتوسيع نطاق سيطرتها فضلا عن ذلك هنالك تناحرات بين المستغلين فيحاول كل نظام ان يزيح النظام الذي يقف بطريقة ومن خلال هذا الصراع تجري تغيرات اجتماعيه

يعد ماركس العامل الاقتصادي هو اساس التغيرات والاحداث وهذا العامل يلاحظ من خلال طبقات المجتمع وكل طبقه لها نظام اقتصادي خاص بها ،لذلك تسعى كل طبقه ان تمتلك كل ما يوفر لها الرفاهية ،من هنا يبدأ الصراع بين هذه الطبقات ومن خلال هذا الصراع يحدث تغيراً اجتماعيا، و ذلك حسب الطبقة التي تستلم السلطة. ويمكن للطبقة الروسية العاملة القدرة على ان تتولى قيادة كل المستغلين لكي تطوح بكل المستغلين وتنتهي اخيرا استغلال الانسان للإنسان[٦١]

ويقول ماركس في نشأة اول الظروف الموضوعية للطبقة العاملة ،يقول: (دعني الخص لك انه كلما نما الانتاج الرأسمالي ، نما تقسيم العمل، واتساع استخدام الآلات وكلما اتسع العمل واستخدام الآلات اتسعت المنافسة بين العمال واتجهت اجورهم نحو الانكماش)[٦٢]

بهذا سيزداد الصراع بين الرأسمالية والطبقة العاملة سيشهد هذا الصراع تغيرا اجتماعيا يفيد الطبقة العاملة.

ج/الدولـــــة:

كيف تتمكن مجموعات أو تنظيمات من السيطرة على أغلبيه المجتمع ،وكذلك كيف حافظت على الكيان الاجتماعي تحت ضغط الصراع الطبقي؟

بالدولة، تتمكن الأقلية من السيطرة على الأكثرية والمحافظة على وحدة المجتمع. ولابد للدولة من ان تشمل جهاز خاص وهيئات من الموظفين . فضلا عن اجهزة خاصة من الرجال المسلحين للممارسة القسر والاجبار، وهي تطور نظاما قانونياً، وسلطه لسن القوانين. ولم تصبح الدولة مهمة وضرورية الا بعد ان انقسم المجتمع على طبقات متناحرة. فلذلك اصبحت السلطة ضرورية لمنع التناقضات الاجتماعية من ان تمزق المجتمع وتدمره[٦٣].

فالماركسية لا تقول ان دور الدولة هو احداث التوازن بين الفئات، بل تؤكد انها اداة سيطرة طبقه اجتماعيه على اخرى[٦٤]. يقول انجلز:(ولما كانت الدولة قد تنشأ عن الحاجه الى كبح جماح المتناقضات الطبقية كما نشأت في خضم الصراع بين الطبقات، فإنها عادة الدولة الطبقة الاقوى الحاكمة اقتصاديا، التي تصبح بواسطتها كذلك الطبقة الحاكمة سياسيا، وبذلك تكتسب وسائل جديدة من السيطرة على الطبقة المتهورة واستغلالها).[٦٥] إن قول انجلز يبين أن هذه الدولة التي يتحدث عنها ما هي الا تلك الاجهزة التي تستخدم للقمع في مصلحة الطبقة ا لتي تمارس السلطة، وهي على العكس من دولة هيجل التي مثلت العقل في ذاته ولذاته.

د/الثورة الاجتماعية:

هي استبدال تشكيلة اقتصادية اجتماعية باخري غيرها، ارفع مستوى. والمقدمة الضرورية للثورة هي تأزم العلاقات الاجتماعية الذي يقوم على خلل حاد في البنية الاجتماعية، بشرط ان يستنفذ النظام كل طاقته ،وان تبقى الحالة متأزمة دائما. ومن ذلك ان استبدال العلاقات العبودية البالية في روما القديمة بالعلاقات الاقطاعية لم يكن حصيلة لانتفاضه جماهير الشعب فقط، وانما تطور اسلوب الانتاج الاقطاعي، حيث دمروا نظام الرق، تدريجيا بظهور طبقات جديدة (كبار ملاك الارض والفلاحون التابعون) وتعد هذه اشكال جديده من الاستغلال اكثر كمالاً[٦٦].

إن الثورة الاجتماعية هي التي تحدث تغييرات وانعطافات تأريخية ،وتمثل شكلاً جديداً بالتركيب الاجتماعي. تقوم الثورة بنقل السلطة من يد طبقة الى طبقة اخرى، وكل طبقة تقوم بتغيير التركيب الاجتماعي، وتقوم بإعادة الانسجام بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج، وذلك حسب مصالحها. هنا تختلف الثورة عن الانقلاب المسلح او الحرب الاهلية، فالأخيرة تقوم بنقل السلطة من يد بعض الممثلين الى ممثلين اخرين. فالثورة تعبر عن ارادة الشعب. وقمة توتره، وهي الاعياد الحقيقة للتاريخ.[٦٧] والثورات انواع، ومن اهمها الثورة الاشتراكية، حيث ينتقل المجتمع من الرأسمالية الى الاشتراكية. وهناك ايضا الثورة البرجوازية التي تسبق الثورة الاشتراكية ،والتي تحارب ضد الاقطاع، وهناك ايضاً الثورة الثقافية التي تعد ركيزة اساسية للثورة الاشتراكية، حيث تمثل اعادة بناء نظام التعليم في زمن قصير.[٦٨]

الخاتمة:

الجدل الهيجلي هو تلك الحركة الصاعدة، المنتقلة من حقيقة دنيا الى حقيقة عليا، ويكون هذا الانتقال اكثر سمواً واوسع شمولاً. هذه الحركة تعتمد على المتناقضات للوصول الى ما هو مثالي مطلق، وهذا المنهج السلبي المعتمد على حل المتناقضات هو الذي يحكم مسار التأريخ وتحولات المجتمع. فالأبطال والسيرورة التأريخية هذا كله خاضع لإرادة المطلق، وهي التي تحرك التاريخ نحو ما هو اسمى. هذه السيرورة للتأريخ تستمر عند هيجل بفضل جانبها السلبي (التناقض) يأتي هذا من قوة التغيير التي ينطوي عليها الاتجاه للتاريخ، وهذا بالضبط ما تبناه ماركس، من الجدل الهيجلي– جانبها السلبي– قوته المتناقضة ،ولكنه صيغها بصيغة مادية بحته نفت المثالية والمطلق من حساباتها، اي تستطيع القول ان ماركس اخذ من هيجل الطريقة (المنهج) لتفسير التاريخ والمجتمع. فالتناقض عند ماركس يهدف الى كشف مصادر الحركة المستمرة وتطور العالم المادي والاسباب الحقيقة لذلك. فالمجتمع تطوره مرهون بوحدة المتناقضات عند ماركس فعلى ،اساس الصراع يبين هذه المتناقضات يولد التطور الدائم والمستمر للمجتمع.

وهذا كله خاضع عند ماركس للاقتصاد والظواهر الاقتصادية، اي ان التناقضات المجتمعية وتطوراتها وسيرورتها تكون على اساس مادي (اقتصادي) حسب مادة ماركس.

بعد هذا كله اصبح لنا جلياً التفريق بين متناقضين، هما ديالكتيك هيجل، وديالكتيك ماركس ،وعلى الرغم من ان الاول هو اصل وهو مولد الثاني.

الهوامش والمصادر :

١. احمد خورشيد النورةجي: مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، دار الشؤون الثقافية ، ط ، بغداد ، ١٩٩٠، ص ١٨٠.

٢. الموسوعة الفلسفية المختصرة: ترجمة جلال العشري، فؤاد كامل ، عبدالرشيد الصادق ، مراجعة د.زكي نجيب محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٦٣، ص ١٢٤.

٣. الموسوعه الفلسفية: وضع لجنة من العلماء الاكاديميين السوفياتيين ، اشراف م. روزنتال ب. يوديو ، ترجمة سمير كرم ، دار الطلبة ، بيروت، ط٥، ١٩٨٥ ، ص ١٦٠.

٤. جميل صليبا: المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، ط١، بيروت ،١٩٧١، ص ٣٩.

٥. د. زكريا ابراهيم ، هيجل او المثالية المطلقة ، مكتبة مصر ، ١٩٧٠، ص ١٤٢.

٦. عبد الفتاح الديدي ، نوابغ الفكر العربي ، هيجل ، دار المعارف مصر، ١٩٨٦، ص ٦٢.

٧. اي ان كل ماهو عقلي فهو واقعي، وكل ماهو واقعي هو عقلي

٨. ماركيوز، هربرت، حقيقه الجدل، ترجمة، محمد بكير خليل ديوجين، مجلة مصباح الفكر ، دار التعلم، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٦٢- ٦٦

٩. محمد الحيدري، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٧٢، ص ٦٤

١٠. الاستاذ جعفر الهادي، دراسة تحليله للنظريه ا لماديه الديالكينكيه ،مطبعة الامير،ط١ ،قم ١٩٩٦،ص٨

١١. أفانا سنييف ، ق ، اسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبد الرزاق الصافي، الطريق (الجديد) بغداد ، ص٧٠.

١٢. الموسوعة الفلسفية الماركسية ، ترجمة سمير كرم ، ص٤٠٠.

١٣. الاستاذ جعفر الهادي ، دراسة تحليليه للنظرية المادية الديالكتيكبة ، ص٩٣.

١٤. الموسوعه الفلسفيه الماركسيه، ترجمة سمير كرم ص ٣٧١

١٥. بوير كارل ، بؤس التاريخيه ،ص١١

١٦. احمد خورشيد النورهجي ، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، ص ٩٩.

١٧. احمد باقر الصدر ، فلسفتنا ، ص ٢٣

١٨. محمد الحيدري، ص٦٤.

١٩. زكريا ابراهيم، هجيل أو المثالية المطلقة، ص١٤٢.

٢٠. عبدالفتاح الديدي، نوابغ الفكر العربي، ص٦٢.

٢١. أحمد خورشيد النورة جي، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، ص١٨٠.

٢٢. الأستاذ جعفر الهادي، دراسة تحليلية للنظرية المادية الديالكتيكية، ص٧٨.

٢٣. أحمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص٤٠.

٢٤. نازلي اسماعيل حسن، الشعب والتاريخ، ص١٨٠.
٢٥. سبق وتطرقنا الى ذكر هذا القانون في نهاية المبحث الاول، ص٨٠
٢٦. الاستاذ جعفر الهادي ، دراسة تحليليه للنظريه الماديه اليالكيتكبه، ص٨
٢٧. افانا ستيف، ف، اسس الفلسفه الماركسيه، ص ٧٢
٢٨. نازلي اسماعيل حسن ، الشعب والتاريخ ، هيجل ، دار المعارف مصر، ١٩٧٦، ص ١٨٤
٢٩. ماركيوز، هربرت، نظرية الوجود عند هيجل، ترجمة ابراهيم فتحي ، دار التنوير، ط١، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٧٥
٣٠. عبدالفتاح الديدي، نوابغ الفكر المغربي، هيجل ، ص ٣١١
٣١. احمدعبدالحليم عطيه، امام عبدالفتاح امام ،الدراسات الهيجليه، مجلة اوراق ١٩
٣٢. انورد ،ميخائيل، معجم مصطلحات هيجل ، ترجمة ، امام عبدالفتاح امام، المجلس الاعلى للثقافه، ٢٠٠٠، ص ٢٣٢
٣٣. انور ميخائيل ،معجم مصطلحات هيجل ، ترجمة ، امام عبدالفتاح امام، المجلس الاعلى للثقافه، ٢٠٠٠. ص ٢٣٢
٣٤. نازلي اسماعيل حسن، الشعب والتاريخ، ص١٨٨.
٣٥. عبدالفتاح الديدي، تحديد نوابغ الفكر العربي، ص١٠٤.
٣٦. د. علي حسين الجابري، محاضرة على طلبة مستوى الثالث في قسم الفلسفة، كلية الاداب ، الجامعة المستنصرية تخص مادة فلسفة التاريخ عند هيجل بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١٣.
٣٧. نازلي اسماعيل حسن، الشعب والتاريخ، ص١٨٩.
٣٨. صائب عبدالحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص١١٢.
٣٩. نازلي اسماعيل حسن، الشعب والتاريخ، ص١٩٦.
٤٠. ماركيوز هربرت، نظرية الوجود عند هيجل، ص١٤٥.
٤١. متيباس،ميشيل ،هيجل والديمقراطية، ص٧٠.
٤٢. عبدالفتاح الديدي، تحديد نوابغ الفكر العربي، ص١١١.
٤٣. أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، ص١٢١.
٤٤. صائب عبدالحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص١١٢
٤٥. متيباس،ميشيل ،هيجل والديمقراطية،ترجمه امام عبد الفتاح امام ، ص ١٩ ، بيروت،ط١، ١٩٩٠
٤٦. صائب عبدالحميد، علم التاريخ ومناهج المؤرخين، ص ١١٤
٤٧. رسل ، برتراند: حكمة الغرب ، الجزء الثاني ، سلسلة من اصدار عالم المعرفه ، الكويت، ١٩٩٠
٤٨. افانا ستنيف، ق: اسس الفلسفه الماركسيه، ترجمة عبدالرزاق العاني، ص ١٥٣
٤٩. الياسر فرج: تطور الفكر الماركسي،دارالطليعه ،ط١، بيروت، ١٩٧٤، ص ٤٦
٥٠. افاناستيف:ق، اسس الفلسفه الماركسيه، ص١٧
٥١. رايلي كافيين: الغرب والعالم(القسم الثاني) ترجمة عبدالوهاب محمد المسيري، وهدى عبدالسميع الحجازي، مراجعه د. فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفه (حاسوب) الكويت ١٩٩٠، ص ١٦٨
٥٢. افاناستيف،ق، اسس الفلسفه الماركسيه ،ص ١٧٩

٥٣. الموسوعه الفلسفيه العربيه،ص ١١٧٨
٥٤. محمد باقر الصدر: المدرسة الإسلامية، دار الكتاب الايراني– طهران، ١٩٨١، ص ٦٣
٥٥. المعجم الفلسفي المختصر: ترجمة توفيق سلوم ، دار التقدم ، موسكو، ١٩٨٦، ص ٢٨٨
٥٦. رسل ، برتتداد حكمة الغرب، الجزء الثاني، ص ١٢٩
٥٧. عبدالباسط عبدالمعطي: اتجاهات نظريه في علم الاجتماع ، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص ٧١
٥٨. سبيركين ،ياخوف: اسس المادية الديالكتيكة والمادية التاريخية، ص١٧٢
٥٩. الياس فرح : تطور الفكر الماركسي، ص ٥٦
٦٠. عبدالباسط عبد المعطي، اتجاهات نظريه في علم الاجتماع، ص٧٠
٦١. كورنفورت، مورينس: مدخل الى المادية الجدلية، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، دار الفارابي، ط٣ بيروت ،١٩٩٠،ص٢١٩
٦٢. عبدالباسط عبدالمعطي : اتجاهات نظريه فب علم الاجتماع ، ص ٧١
٦٣. كورنفورت:موريس: مدخل الى الماديه الجدليه، ص ٢٢٩
٦٤. الموسوعه الفلسفيه العربيه: ص ١٢٠٩
٦٥. انجلز: اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، ترجمة الياس شاهين، دار التقدم، ط٢، موسكو، ١٨٩١، الفصل التاسع، ص٢٢٧.
٦٦. المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة توفيق سلوم،ص١٦١
٦٧. الياس فرج: تطور الفكر الماركيسي ، ص٥٨.
٦٨. الموسوعة الفلسفية الماركيسية: ترجمة سمير كرم، ص١٥٥.